

21 ديسمبر 2008

الفارس الذى مضى واقفاً

د. عبد المنعم الجميى

أستاذ بآداب الفيوم

تمنى رءوف عباس فى كتابه الأخير "مشيناها خطى" أن يموت واقفاً كالأشجار، وألا يسقط القلم من يده، وأن يظل قادراً على التفكير والإبداع حتى يجود بالنفس الأخير، وقد حقق الله له أمانيه، فظل حتى آخر لحظة فى حياته يعطى المثل فى العطاء رغم المرض اللعين والامه الذى لم يحن هامته له أو يشكو منه أو يتذمر بل حمل على أكتافه كل ما تبقى أمامه من مهام قام بإنجازها حتى لا تتعطل أمور أحد، أو أن تتأخر أعمال كان قد وعد بها، فأصر على أن ينتهى من تحرير كتاب 9 مارس عن إستقلال الجامعة، وظل يقضى الساعات الطويلة متحملاً آلام المرض لينهى تحرير هذا الكتاب.

قبل عقد المؤتمر السنوى للمجموعة فى 9 مارس 2008 والذى رسم صورة واضحة للجامعة كبؤرة للمشروع الوطنى النهضوى والنضال الوطنى، والكفاح من أجل إستقلال الجامعات وإطلاق طاقات الحرية الأكاديمية من عقالها.

كما ظل رءوف عباس رغم المرض اللعين يتابع مسيرة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية وأنشطتها والتي تعد ربييته، وكانت شغله الشاغل قبل وفاته، موصياً أعضاء مجلس الإدارة بالحفاظ عليها والسير على الدرب الذى رسمه لها.

وإلى جانب ذلك فقد أوصى رءوف عباس بمتابعة أعمال طلابه الذين أنهوا رسائلهم العلمية أو كادوا حتى لا تتعثر أمورهم من بعده وظل عطاؤه لطلابه لم ينقطع حتى آخر نفس فى حياته.

إن ما تركه رءوف عباس من تراث فكرى وعطاء إنسانى هو رصيد هائل نعتز به، وسيبقى مثلاً مشرفاً للأجيال الشابة التى تكافح من أجل تحقيق آمالها وتكوين أفكارها، وإذا كان قد رحل عن دنيانا، فإن أعماله ستظل صورة حية، ونموذجاً صادقاً لرجل حرص دائماً على أن تكون حياته ثمرة للعمل والمثابرة والجدية والصدق والأمانة والخلق الرفيع والتواضع المستند إلى إحساس عميق بالكرامة والكبرياء، والعشق الشديد لمصر وتاريخها.

لقد خسرت مصر والمدرسة التاريخية رمزاً من رموزها الكبار، والرموز تذكر على الدوام وأبد الدهر.

فوداعاً رءوف عباس مؤرخ البسطاء الذى فقدته المدرسة التاريخية، وخسارتنا كبيرة بفقده..